أشياء صغيرة

تقاطعات

فصل

[1]

بين وجهي وسرة هذي السماواتِ نخلٌ وخيلٌ
من الحجر الصلدِ والريح
والشمس تشرق في داخلي وتمر بأطراف أثوابكم فتفيض دمًا
وأفيضُ
أنا العاشق المتفرد نخل بلادي وليلَ بلادي وشمسَ بلادي وقهر
بلادي
فماذا عليكم
وهذا قميصٌ من النار ألبسه
فتمرد المدائن بالهالكين
يجيء دمي مثل أيامكم
حارقًا
وتخر الصباحات صرعى كأعجاز نخلٍ
وأنتم سكارى حلم.

فصل

[2]

اسكنوا داخلي
واشربوا من توابيتِ أحزانكم
وارفضوكم معي
إنني بينكم واحد
فارفعوا موتكم
ارفعوا موتكم
واجعلوني عليكم شهيداً
وصلّوا عليكم
كنت ألبس قمصانكم
وأغسِّل نفسي بحنطة أسوارِكم

وزنازن أشجاركم
ومسراتِ أوجاعكم
فأرش عليكم مودات قلبي
وأغرقكم بالولاءاتِ والحبّ.
فصل
[3]
هذي زنازنكم فادخلوها معي وارسموا فوق جدرانها بعض
شمسٍ
وجوعٍ
ونارٍ
فهل تشربون معي نخب كأسين للموتِ
كيف انخلعت عليكم وبدلت ثوبي بأثوابكم وانحللتُ
بكم واحداً واحداً
ثم أشرقت نفسي عليكم وحيداً
وعلقت روحي على شرفات منازلكم
ومداخل أوجاعكم
وطنًا فادخلوه
وطوفوا بكم
إنني واحد بينكم
فاسكنوا داخلي
ثم صلّوا عليكم وغنوا
سلام عليكم
سلام.. سلام.. سلام
سلامًا...
واصعدوا صوب أشلائكم واجمعوني بكم واحداً واحداً وارفضوكم
ارفضوكم
ارفضوكم جميعًا أو
فاسكنوا موتكمْ
اسكنوا موتكمْ.

غناء فردي

فصل

[1]

سأربط زنبقةً حول قلبي ثم أدخل هذي المدن
وأشجِّر فوق رمال الصحارى دمي
إنه قاتلي
وأسمّي السماءَ بروقـًا ورعداً
يكون الشقوق التي تتفجر من ساحل الأرض
هل تدخلون معي؟؟
إن هذي المدائن قد لوثتني
اعتصرت رحيق محبتها واحترفت غواياتها وغوايات أبنائها
واحتراقاتهم... وعذابات أبوابها
وغرست دمي شاهداً فوق قمصانِ أشجارها.

فصل

[2]

لونتني
يا لهذي المدن!!
قمرٌ فوق وشم ذراعي
نخلةٌ حول سرة قلبي
وشمس من النار تحرقني ثم تشرق فوق جنائنكم
وردةً
وتحط عليكمْ
فادخلوها معي
ادخلوا
واتركوا فوق جدران هذي الزنازن أشكالكم ثم أسماءكم
وارسموا ببقايا دمي لونَ أشجاركم
ثم هاتوا حروف الكلام
وصبوا عليها من الدمعِ والدمِ

بعض احتراقاتكم
ووصيات أبنائكم واتركوني
اتركوني على عتباتِ الشوارعِ
قمراً ضائعـًا..

فصل
[3]

انبئوني
انبئوني... بأسمائكم واحداً واحداً
فسأربط زنبقةً حول صدري
وأدخل في غيمة العاشقينَ
وأقطف بعض التويجات حبراً وأكتب أسماء من صلبوني
وأدلق فوق الأسرةِ بعض حروف الهجاء
أبايعكم
بالقيود التي في يديّ
أبادلكم وطنـًا بالزنازنِ والأغنياتِ
وكنت انقسمتُ
أنا ضد نفسي
وضد الورود التي تتطاول في داخلي
ومنازل قلبي
وضد التي خانني دمعها
ثم كنت لها عاشقـًا
وكانت لها صبغةُ الشهداءِ

فصل
[4]

توحدت فيَّ
توحدت في جمعكم وخيانات أشجاركم وانقساماتكم
ثم كانت بلادي على غيمةِ الدمع ثكلى
تنز دمـًا حارقـًا
ونجومـًا من الفحمِ

كنت لها شاهداً
إنني سوف أدخل قلبي وأزرع حول حدائقه
وردةً
ثم أعبر صوب بلاديْ.

سلام عليكم

فصل
[1]
النجوم الطوارقُ في الليل يدخلن بيتي
ويخطرن فوق أرائك قلبي فرادى ويرقصن تحت الصباحات
مثنى
ويرحلن في الليل عند انتهاء المصابيحِ كالبجعات زمرْ
أيركضن تحت خيام الجسَدْ؟؟
ثم ينعسن قربي قليلاً..
وعند النداءات يرحلن ناراً وخيلاً مسومةً وغير مسومةٍ وغباراً
حدائقَ مرجومةً بالشياطين
أو سنبلات من النار خضراً أأفتح؟ من سوف يدخلُ؟
هذى الرياح سهوم من البردِ شوكٌ يحز عظام النخيل ويجرح
خد التويجاتِ
يخرطها في بكاءٍ عنيفٍ مع الفجر والليلِ
هل نتكاشف؟ أو نتحاضن أو نتخاصم؟

فصل
[2]
يا أنتِ
أيتها الوردة المستحمةُ في الفجر نامي قليلاً بقربى
أو انعطفي فوق شباك بيتي القديمِ حدائق مغمورة بالتويجات
– في غبش الصبح –
ثم اغسلي فوق خيمات صدري عصارةَ نعليكِ

أو فانثريني ندى فوق أهلي
وهزِّي سلام عليك
سلام على الورد في كل لونٍ
وفي كل أينٍ وفي كل غصنِ
سلامٌ عليّ
- حين ولدت وحين أموت وحين سأبعث حيـًا.. سلام عليّ -
و يا أيها الداخلون حدائق قلبي سلام عليكم
وطبتمْ
سلام... سلام... سلام...
فصل
[3]
أيها الواقفون ببابي سلام عليكم
أيها الفقراء سلام عليكم
أيها الشعراء سلام عليكم
أيها الحقراء سلام عليكم
أيها المتعبون سلام عليكم
أيها الخائفون سلام عليكم
أيها العاشقون سلام عليكم
أيها الخاضعون سلام عليكم
أيها القانطون سلام عليكم
أيها السجناء سلام عليكم
أيها التعساء سلام عليكم
أيها الميتون سلام عليكم
أيها الهاربون سلام عليكم
أيها التائهون سلام عليكم
أيها الضائعون سلام عليكم
أيها المبعدون سلام عليكم
أيها القادمون سلام عليكم
سلام... سلام... سلام...

رغبة تحت شجرة الدردار

فصل

[1]

تأتيني غارقةً في النومِ فأمسح عن خديها السوسنَ وزهورَ
اللوتسِ والمرجانِ
وبضعة أقمار
وتميل الشجرات الخضرُ المملوءة بزهور التفاحِ على طرف الثوب
القطني
فأقطف من تحت البقع الشمسيةِ بعض فصوصِ التوتِ المحمرّ
أترجعُ للبيت؟؟
لماذا لا تطلق طيرَ الرغبةِ كي ينسل إلى حقل الحنطةِ يجمع سبع
سنابل خضراء فيغسلها بالضوءِ
وسبع سنينٍ ذهبًا ذهبت وأنا أنتظرك أن تأتي
تخبرني عن كل عصافير الضوء فلا أبصرها
تأتيني غارقةً في النوم فتدخل كل جنائن قلبي
هل تسمع صوتي يا محبوبي؟ لا...
من يشعل قنديلَ البيتِ إذن
وامرأتي عاقرْ وأنا مسكون بالوقتِ وبالبرقِ.

انتظار

فصل

[1]

كان لونُ الفضاء كلون دمي حمرةً خارقةْ
وطعامي صبيرةً
والندى لجة فائقةْ
فرت الشمس من تحت أعتابها واستقرت
هل انتثرت في السماء الكواكبُ؟
أو مرت الريح مغسولةً بالشقائقِ والبرقِ وانفلق الضوء

– محترقـًا –

بين هذي السحائب والأرضِ؟ جميزة – يخرج الطير من بين
قمصان أوراقها ميتـًا؟
فاستمع أيها الطير يُوحى إليك
و يا أيها النمل هذي مساكنكم فادخلوها معي
وهذا مكان الوقوف على جبل الماءِ والنارِ من سوف يصعدُ؟
والماء لجته لجة فائقةْ؟؟

فصل

[2]

أأبصرت ناراً؟؟
أأنستها؟
وانفطرت بها ثم حطت على جبلٍ شاهقٍ؟
هل سترجع يا أيها الطيرُ
أم سوف تُقلع وحدك
صوب الأهلةِ والشمسِ والموتُ أقرب منك إليك
فحاذر
وحاذر
ولا تقتربْ...

تخطيطات

قبراتٌ من الضوء تصعدني أرتقي سلمـًا هادئـًا – نحو غابات
أشجارِها
هل نجومٌ تعشش فيّ؟
تحط قريبـًا على يرقات الفراش الذي يحتويني ندى فوق صدري؟
ترى أين خبأن هذا القميصَ الجميلَ من النخلِ
من راودتنا؟ وحلت على الفجر مغسولةً بالبنفسج والحلمِ؟
من ذا يقود الضريرَ إلى بيتهِ والنجوم خوافتْ؟
ربما شجر في المتاهةِ ينمو وتخضر في الجبل الصلد بعض

التويجاتِ
أقمارنا غابةٌ
من أرائكَ أو أرجوانٍ
فمن ينزل الغور أو يصعد الليل يقطف بعض النجيماتِ
يجمعها في سلالٍ من الوردِ والقشِ ثم يوزعها فوق ذرات
أجسادنا
مطراً أو حدائقَ – مخضرةً – فاهبطي
واهبطوا بسلام..

انكشاف

النهارات ومضٌ من البرق يختم فوق أعنتنا وخرائط أجسادنا
زبداً
حين نملؤه بدماء الصبايا الجميلات يصبح مسكـًا وزيتونةً
وحدائق غُلبـًا
فهل أنت سيدةٌ من أراضينها السبعِ تخرج سنبلةٌ للزفاف
وسنبلة للقطاف وسنبلة
تخرج الملكات لها راقصاتٌ
ويشعلن ناراً
فيتبعها الطير في كل وادٍ
أم أنت المليكة سيدةٌ من سماواتها السبعِ يخرج لؤلؤها البكر
شمسـًا توهجُ
تنكشف الأرض أو تتفتت ينكشف الوقت أو يتفتت
مشكاتها في زجاجٍ من الضوءِ والضوء حلته مثل ياقوتة الحلم
مخبوءةٌ تحت سرة أشجارها الذهبية
مصباحها
أم كواكبُ درية تتوقدُ؟
كيف انكشفتِ إذن أيتها السيدة؟؟

زيتونة

نارٌ تخرج من زيتونة قلبي صوب هضاب الرغبةِ
لغةٌ تفصح عن جوهرها من غير أداة التعريف وكل حروف الجر
وكل حروف النفي وكل حروف التشبيه
فهل تفقد لغةٌ مرمرَ خضرتها كي تدخل في دائرةِ الرمزِ ووحل
اللمز
وبيتِ التيهْ؟
الإثباتُ.. المشكاةُ.. المشكاةُ.. الإثباتُ
أوَ يبقى المصباحُ المطفأ مضاءَ قرب سماوات خضرٍ
من يشعل زيتونةَ قلبي أو يقترب قريبًا من لؤلؤها يجد الآن
شهابًا رصداً
وسماواتٍ غامضةً
تتأرجح بين سماوات بيضٍ
وغيومًا حاملة برقًا تفرطه فوق ذؤابات فصوصِ الرغبةِ
– حُمُراً وحشيةْ –
أو سرابًا من غزلان سابحةٍ فوق محفات بيضاء وخضراء
وطيراً يتتبع طيراً
كي يخرج عن دائرة الطير
فكيف يكون المصباحُ المطفي مضاءَ
والبيت غريب وفريدٌ في التشبيه؟؟

امرأة

ينفسح البحر كآخر نجمةْ
قمرٌ يخرج من تحت الماء
نساءٌ يغسلن عباءتهن بأطراف البحرِ ولؤلؤة تتفرس في وجه امرأةٍ
يتجمع تحت ملاءتها نخلاً
يتقرى جسد ميقاته
الأرض تكاعيب عنب

والشمس طريق ذهبي
وأنا طفل النخل المتهيئ – ملكـًا – يحرسه الورد وجمار النخل
فهزي
هزي
هل تسكن قرب خيامي مريمُ؟ أو أسكن فيها؟ أم أنزل صوب
مدارجها؟
والمرأةُ
قبرة تتغسل تحت ضفيرات الشمس وتمسح نهديها باللبن الكونيِّ
وتنعس قرب بحيرات الماء فهل يعشقها الرّبُّ
ويصنعها من كل شآبيب الرغبة ثم يجمِّلها بالشهواتِ..؟
ألهذا يتقرى جسدٌ ميقاتَه؟
كم مر عليّ بهذا الحلم دهراً.. شهراً.. لا أدري؟
اللحظة فاصلةٌ حين تجيء وسنبلة خضراءُ
تمر على الأرض فينفتح القلب كآخر نجمةْ
أتكونين طريقي أيتها المرأةُ أم أزرع جسدي بالنار
وأتوضأ في عين الشمس الحمئةْ؟

السيدة/ تساؤلات

فصل
[1]
هل يمكن أن تهبط هذي السيدةُ الخضراءُ إلى الأرضِ
ويأتي السيد تحت النخلِ فيحمل كل جراح الرفض ويصعد
كالغيمةِ
نحو التل
ويقطف زهر الآلامِ
ويهدم كل متاهات القَهرِ
الريح خواءٌ
والشمس الميتة على شجراتِ الحنطةِ والزيتون وجبل الليمون

خواءٌ والنخل جذوع متهالكةٌ
أعجازٌ تنسدل على وحدتها خاويةً
والموت بطيئـًا يتقدم كاللص الدمويِّ
فهل نعطى اسمينا للنار وللتاريخ القش المنزوع الريش الخائف
والأجنحةِ العاجزةِ عن الطيرانْ؟

فصل

[2]

لماذا يطردنا التاريخُ
براغيث شعوب باليةٍ ويعلقنا فوق جدارات متاحفهِ نسخـًا باهتةً
من شهداءٍ منسيين وصلبانـًا
من أوراق ساقطة.. يرفضها العصرُ
ويحملها الولدان نكاتـًا هازئة
ويزوِّرنا ضمن حفائر الأثريةِ؟؟
هل يمكن أن تهبط هذه السيدةُ إلى الأرض
ويأتي السيد تحت النخل ومشتعلاً بالرفضِ؟؟
لماذا نعطي اسمينا للذاكرة المحشوة وهمـًا وخرائبَ؟
ولماذا...
نبحث عن لغةٍ أخرى لا يعرفها غير الله؟

أغنية صغيرة دافئة

فصل

[1]

جسدُ المرأة تاجٌ من نورْ
والشمس عشيقةْ
هل تبقى الروح على جسد المرأة أيقونة فلّ في صدر العرش؟
أم ثوراً يتخذ طريقه؟
أم تبقى المرأة حقلاً من حنطةْ تحرثه الأيامُ
وتسقيه الشمس بكفيها الخضراوين لآلئَ من ذهب

ورحيقـًا يتقطر من شهد رائق فوق محفات من فضة
أو قطرات من لبن مختومٍ زاهٍ
يحمله الولدان فرادى وجماعات
– يلبسون ثيابـًا خضراً –
ويطوفون على سررٍ ونمارقَ خضراء وزرقاء بأيدهم أطباق
من ضوءٍ مسحورٍ؟
والمرأة مرآة وقناديلُ
وقرنفلةٌ بيضاء وحمراء وصفراء
أتذبلُ؟؟
فصل
[2]
أتذبل؟
أم تتفتح فوق خلايا الجسد المتوحشِ سنبلة خضراء
على حقل من لؤلؤها المنثورِ؟
هل تمسك طرف الروح بأنملة محبتها؟
هل غيمةُ
– وحدتها –
ساكنةٌ في أعماقي؟
هل تسند قامة هذا الكون – بخيطٍ – من ريق أنوثتها؟
أم نظرتها؟
أوَ تخذُ السوسن قاعدة تتكئ عليها
والورد طريقـًا؟
سيدة خرجت من تحت عباءات الليل وحلت من بين ضفائرها
قمراً
واستلقت فوق فراش الرغبةِ قرب حدائقها
وانتظرت شمسـًا تشرق في داخلها أو ريحـًا تسكنها في وحدتها
هل كان الجسد المسنون المتوقد خيلاً
أم كان عشيقـًا؟

تماثل

فصل

[1]

يتواطأُ جسمي ضد الورد
وضد أنوثات الورد
وضد خيانات الأشياءْ
فتنكسر سماواتي فوقي أرغفةً
من ورق الموت
وأشجار النار
وسفنـًا ملقاةً
فوق شواطئ آفلةٍ أبني أفقـًا من شجر محروقٍ من شمس متفتتةٍ
ومنازلَ من أضلاعي المتناثرة على رملِ الصحراء
أناديكم
فمر ينزل أغوار دمي
– بحر لجي.. –
فينازلني.

فصل

[2]

إياكم
إياكم،... أن تقتربوا مني حين يفاجئني صحوي
فيهزّ فضاءات الجوع
ومطر الموت المتشبث بعروقي
وزلازل أرضي وسماواتيْ
إياكم
أن تقتربوا من جثتي الملقاة على وحلِ الطرقاتِ
وفي أرجاء حدائقكم
ودواخلكم
وبأحجارِ منازلكم

وشقائقكم
إياكم أن تقتربوا.
فصل
[3]
هذا جسدي يتقراكم فرداً فرداً
ويؤاخيكم ويفاجئكم
في كل سرائركم
– حين تنامون وحين تقومونَ
وحين تمسونَ
وحين تصبحونَ...–
أدعوكم أن تتجهوا صوب مدائن موتى وسماواتي المشتعلة
ببقاياكم
ثم اقترحوا أن نتلاقى عند سماواتٍ أخرى وأرضين من الماءِ
كثيرةْ أرضٍ... لم تطأوها من قبل
– شموس ذاكية... وغزالات بيض –
وأقيموا حين تجيئون هناك ممالك لصبياتٍ يأتين من البحر
ومن خصل الضوءِ
فيرقصن عرايا تحت القمر الصيفي الأحمرِ.
ثم يباركن شظاياكم واقيموا
مئذنةً من سنبلة الدمعِ
ومن صلصلةِ الموتِ
وغنوا
غنوا
هذا حقل من لؤلؤة العشقِ ومن ورد الماءِ
وأشجار الزيتون المر
وحبات الحنطةِ
ودمايَ
وصلوا خلفي... صلوا
فمدائنكم خبزٌ من نارٍ معجون بالجوع

وبالفزع الأكبرِ
والصلواتِ
انفجروا حين يباغتكم وجعي
وخياناتي
ثم انتشروا في الأرض
كآلهة
ونبييَن.

رمل

فصل
[1]
إنه الرملُ يلمع متقداً
تحت وهج الجروحِ
ويبرق من رَهَج الذكرياتِ
انظروا
كم تكون الرمالُ
مغامرةً
تجمع الشرق بالغربِ
والغرب بالشرقِ؟
كم يكون الندى خالعـًا سترة العشب
ومرتديـًا شكّة الحربِ
أكثر مما يكون له الرمل عشـًا
تحط عليه العصافير
ثم تنام
وتحلم بالبحر والسفر اللؤلؤيِّ.
فصل
[2]
انظروا

إنه الرمل
كان دمـًا
يتناثر فوق التويجاتِ
بعد التقاء البنادقِ
بالعشبِ
هل كان رملاً؟؟

مزج

فصل
[1]
المرأةُ
تعطي مقودها
للرجل البنيِّ
الرجل البنيِّ
يخصِّف
أعضاءَ المرأة بالوردِ
فهل تعطي المرأة
ثوبَ قطيفتها
للرجلِ
الأخضرِ؟
أم يعطي الرجل البنيّ
رداء اللون إلى البحرِ
ويرحل صوب جزيرتهِ؟
فصل
[2]
الرجل الأخضرُ
يتساقط

فوق الجسر الممتد
ما بين القدمين
إلى تاج الرأسِ
والمرأة
تتساقط
ما بين الغيمةِ
وخيوط الفجرِ
فهل تخرج شمس
من قلب
المرأةِ؟
أم يخرج طير الرغبة
في زي طرادٍ
جبليٍّ؟
قطعان
من ثلج أبيضَ
يتصاعد
فوق ضواحي الوقتِ.

ثنائية

فصل
[1]
ها هو القنفذ البشري
يعرِّض
أعضاءه للنهارِ
ويطلق أفخاذه للرذاذِ
الذي يتصبب
من قطرةِ الجسدين

اللذين
يغوصان
في بقعةٍ
لامتزاج الرحيق المقطَّرِ
بالبتلات التي تتعرى
على شهقاتِ الخيولِ
التي تتراكض
فوق السهول الفسيحةِ
والغيمِ.
فصل
[2]
يبدأ طير الهدأةِ
في الرقص
على جسدين
اثنين يغوصان
إلى
قاع الخضرةْ.

طلقة

فصل
[1]
الطلقةُ
تتبع صوتَ الطلقة
ثم تحوِّم
فوق حواف الأشجارِ
الخضراءِ
فتنفجر الخضرةُ

والطلقةُ
إذ تتبع
صوت الطلقةِ
تكشف عن عرس دمويٍّ
تنشق إلى نصفين
فنصف للطفل المتمايلِ
فرحًا
والوردِ
ونصف للضوء الساقط
فوق العشبِ
البري
وأعشاب البحر.
فصل
[2]
والطلقة
– إذ تتشظى
تأخذ شكل الموتِ
المتساكبِ
بغتةْ
هل كانت هذي الطلقةُ
آخرَ ما
يكتبه الإنسان
على الأرضِ
أم كانت
شكل بنفسجةٍ
محترقةْ؟؟

مشهد

إلى حسب الشيخ جعفر
يهبط من شرفته في الليلِ ويسأل عن ماهيةِ شيء ما
كان يقولْ أمنح نفسي للماءِ
أتسمى بالقمر الأزرقِ وخرافات الوقتِ
أسمي أحلامي شجر الإسمنتِ
وأهرب من ذاكرتي في سقف اللحظةِ أو أتصيد خطأً ما لامرأةٍ ما
تركت نكهة شرفتها فوق سريري
حين سأخرج من وقتي
قد أعطى امرأةً أخرى
مفتاحَ دمي
وخرابيْ
أيتها الذاكرةُ المسكونة بالفوضى
لا يشبه هذي الفوضى إلا ساعات الألمِ الزرقاء
انتبهي أيتها الروحُ
سأفتح أدغالي
وأضمد فوضاي على طاولة الأمسِ
الآن
هدأت شاحنةٌ أخرى قرب الجسرِ
بعض رجال الدرك يثرثر في نوبته عن قمر أحمرَ وضآلة راتبهِ
رجل يغمز لامرأةٍ ويواعدها عند الفجرِ
ثمة خطأٌ ما في هذا العالم
قطرات الملح على جسم امرأةٍ خارجةٍ من ماء البحر تتنشف
بالفوضى وتحاصر أبعاد الوقتِ
كيف أعيد اللحظات الهاربةَ إلى مأواي أنا مسكون بالذكرى
لا شيء يلامس قلبي إلا رغوته
حسنًا سأعيد على ذاكرتي نفس المشهد وأهيئ نفسي للنسيان.

موسيقا أزهار فاضل

لماذا يتجمع دمُكِ الأبيض قدَّام الموسيقا؟
هل رائحةُ النارنج
وزهرات اللوتس
والبشنين وعطر الماندولينا في الليلِ مع الذكرى
لا يجرح قلبك
مثلي؟
لا أعرف كيف أضمد قلبي
كيف أفضّ وساوس روحي
وأزحزحُ نفسي عن طاولة العشقِ
وأنسى..؟
هل يجرحك الليل
وحين تباغتك الذكرى؟
ماذا نفعل بالموسيقا إذ نهبط كصبيينِ غريقين
أمام اللوحةِ؟
هل
نمسح دمها المنسابَ على أكمامِ القلب
بأطراف العينِ؟
الموسيقا...!!
أعرف كيف تطاردُك الموسيقا
كيف تزلزل جسمي المنهوك أمام غوايتها
هل
لون القلب هو السلوى؟
أيتها السيدةُ الآثمةُ القلبِ
لا شيء يلامس قلبي حين يجن الليل مع الذكرى
إلا صوتُ
الموسيقا

كيف أعلّق أقمارك فوق الأبواب الموصدةِ
وأكتب فوق الحيطانِ
ونخل القلبِ
وأغصان الماءِ
أحبك؟
هل هذا القلب يورطني في شيئين نقيضين
الحب
أو الموت؟
هل هذا القلب سينقذني
أم
سيورطني أكثر؟
لا أعرف
حاولت كثيراً أن أنسى
كانت موسيقا روحي تختلط بموسيقا روحك
فأحبك أكثر
وتعذبني الذكرى
لا أعرف ماذا أفعلُ
هل أهرب منك
وإلى أين
إليكِ؟
يا الله؟!
ماذا أفعل بالموسيقا
عينك موسيقا
شعرك موسيقا
صوتك موسيقا
صمتك موسيقا
عطرك موسيقا

يا للموسيقا
إذ تخرج من معطفك الشتويّ وتفجؤني قدام اللوحة
بالعشق الخارج من بين العينين الصافيتين الرائعتين
ومن خلف دموع الفرشاةِ
المتوحدة بهذا الكونِ
اللونِ الموسيقي
لماذا يتجمع دمُك الأبيضُ
قدام اللوحة
وتجيء الذكرى
طافيةً
من خلف سماءِ الموسيقا؟؟

ثنائية

(1)

في متاهة باريسَ كان السيد بيكاسو
يمسك الضوء من خشب الماءِ
يشغل حبة خرز بكاملها
ويسوي بين الـ
جورنيكا
والـ
ما
تا
دور...؟!
يدخل دالي ممتشقًا سيفًا بنطاقينِ
ويمسك غدَّارته المحشوةَ بدماء اللون
على مددٍ
من قامته

يرسم سيدةً خائضةً لجج الأنديز
تفتش عن شمس الله
وعن خبز الشوفان
لماذا يتمدد دالي فوق قواربهِ المطاطيةِ
ولماذا
يتذكر لوركا فجأة..؟؟
يخرجُ من كراسته كارلوس ألبيرتي
وينادي الثور الهائجَ
كي يدخله الحلبة
يلمع خبز الشوفانِ
ويتشمم رائحة الماريجوانا
فيدوخُ اللون أمام بصيرتهِ
ويخر الثور على عتبات الضوء
صريعـًا
مغشيـًا
ينطح بالقرنينِ الضوءَ
ويترك دمه المنسابَ على قبعةِ الـ
ماتادور
يخرج لوركا محتضنـًا زند فتاةٍ من فتياتِ الباسكِ
ويحسو كأسين من الفودكا
عن أي فتاةٍ يبحث دالي؟
أين ستشرق شمس الله
وفي أي نهار سوف تجيء الحريةُ؟
هل كان السيد بيكاسو وهو يهدِّئ من لوعةِ باريسَ
بلوحتهِ
يدرك أن الماتادور يفتش عن دمِهِ
تحت عطور الطرواداتِ

ويبحث عن نوع فصيلتهِ
بين الثوراتِ
العرقيةِ
أم سيفتش عن وطن آخرَ كي يسكنه
ويخبئ دمه الأخضر تحت الماء إلى أن يأتي خبز الله
وتشرق شمس الحرية؟
آه
هل جاء السيد رامبو؟
إذن
سنقوم إلى طاولةٍ
أخرى..
(2)
أحيانًا
كان الأصلعُ بيكاسو ينقل ريشته فوق اللوحة
من شلال الضوءِ
إلى شلال الماءِ
وأحيانًا
كان اللون يراوغه
والفرشاة المجنونةُ تفلت من يده
وتفر يمينًا
ويساراً
حتى ينسرب اللونُ من اللونِ
وتنسرب الفرشاة من الفرشاة إلى خارج ناصيةِ اللوحةِ
ينتظر قيامة شيء ما
يتردد ما بين الظلّ
وبين الظلّ
ويلقي بالفرشاة بعيداً حتى يدهمه اللون على أرض الحلبةِ

يلقي بطفولته ويفتش عن شيء ما
هل يرسم نهراً
أم وطنـًا؟
أم ثوراً يطعنه الماتادور على أرض الحلبة؟
ما زال الجمهور يصفق
والثور الهائج ينطح بالقرنين نهايته
وها هو ذا
يخرج من غرفته
مفتونـًا بالضوءِ
ومسكونـًا
بالألوانِ.

أبو حيان التوحيدي

كان إذن...
يتحاور في الليل مع وحدتهِ
يمسك بالأوراقِ
وأقلام البوصِ
وبالزمن الخائخِ
يتوقف قرب نهايته
يتساءل:
ما معنى الموت؟
وما معنى الكلمة؟
ماذا يعني الفقرُ أو العجزُ؟
وماذا تعني اللذةُ
والإثمُ
الأملُ
اليأسُ

الظلمُ
العدلُ
الوحدةُ
والخوفُ
ما معنى المعنى إذ يسأل؟
كيف أفك رموز الكونِ
وكيف أفسر هذا النور بهذي الظلمةِ
أو هذي الظلمة بالنورِ؟
وما معنى أن تشرق روحي بالإصغاء إلى أصغر شيء ما؟
هل سيعود الجسم إلى سيرته الأولى؟
وما معنى هذى الروح
وكيف ستفقد معناها أم ستعود إلى صيرورتها الأولى؟
ماذا يعني هذا؟
هل أتبدد في اللاشيء؟
ما معنى أن يتلاشى النورُ وتنهش هذي الروحُ خفافيشَ الظلمةِ؟
ماذا أفعل بالأوراقِ وبالكلماتِ؟
وهل تُجديني اللغة
وإذ أتفتت في البحت عن الكينونةِ
والسِّر؟
سأغلّق داري
وأواري سوءة جسمي
أنطرح كماء الجلمودِ على مدد
الصحراواتِ
آهٍ
سأقوم إلى مخطوطاتي كي أحرقها
قد تشرق شمسٌ ما
في أقصى الروحِ.

الغجريون

في الفجرِ
يأتي الغجريون وفوَّهة بنادقهم
تتقدم ركبًا
من غجرياتٍ بيضٍ
محلولاتِ الشعرِ
ومنسدلاتِ
الأردافِ
والغجريون وراء العربات الخشبيةِ ينطلقون فرادى وجماعات
ما من أحد يعرفهم
العربات الخشبيةُ
مطفأةٌ
إلا من مصباح أجردَ يتناوم في الضوء ويستأنس بالعتمةِ
والغجريات يراقصن النجمَ
ويرقصن عرايا
أو يتشممن العشب
ورائحة النتراتِ ويشعلن الرغبةَ بالرغبةِ
والغجريون يغنون ويعتصرون الوحدة بممارسةِ اللذةِ
والقسوةِ
فوق العشب المبتلِ
وينسربون إلى العتمةِ
حيث بنادقهم
تلمع
أو تطَّاول كالنصلِ
وخلف العربات الخشبيةِ بضع كلابٍ
متناثرةٍ
تترقب

أو تتشمم رائحة الصيدِ
وطعم النتراتِ
في الفجر
يأتي الغجريون وينسحبون الواحدَ بعد الآخر
ما
من أحدٍ
يعرفهم؟!

الوعل

إلى حسب الشيخ جعفر مرةً ثانيةً
كنت أراقبهُ
حين يفكُّ الليل الشتويُّ أخاديدَ الوحدةِ
والشيخوخةِ
ثم يصير شظايا
وأراجيحَ
حيوانات هاربةً
غجريات يتسكعن أمام الدور الخاليةِ
ويضربن الرملَ
ويسكن – هنالك – في جسد الماءِ
وفي آخر دورتهن يمارسن السطو ويخطفن القمر الصيفيَّ المخنوقَ
ويجلبن أريج الحنَّاءِ
وكان يقهقه مثل الوردةِ حين تباغته السمكاتُ الذهبيةُ
يشعل بعض لفافاتٍ
باقيةٍ
من علبة تبغٍ
متآكلةٍ
ثم يفتش عن حلمٍ أخضرَ كي يمسكهُ

ما زال الليل كما أعرفه
أغفت نجمتك السهرانةُ في مخدعِها
كيف أفسّر هذا العالم بالشعرِ؟
تحزِّر...؟
هل عندك خبز ونبيذ؟!
من هذي المرأة كالمشمش
تفِّرق صحوي وتقض مضاجع حلمي
أوَ تعرفها؟
تمرق خارقة – كالسهمِ – وتترك فوق ثيابي نكهتها
حنطة أرض
قاصيةٍ
لونَ ضفائرِها
والكحل المتأجج في عينين نبيينِ
فهل من أحد يشبهها؟
خذ نجمتك الخضراءَ
وخذ
وردتك الحجريةَ
وارحل
ارحل
تتبعني..؟
والشعرُ...؟؟
ينفتل الدخان سحائبَ من مطرٍ أحمرَ ورذاذٍ مندثرٍ
نجمات بيض يتقاطرن حواليه
فرادى
وجماعات
والليل الشتوي
يغادر شرفتَه

والوعل يفر إلى حيث أراضيهِ
فهل من أحدٍ يعرفه؟

المغوليون

كان المغوليون ينسربون مثل النملِ
يقتربون من النهر في الصبحِ ثم يمرون قرب البناياتِ
والشجر الخائفِ
المترقبِ
كانت بنادقهم
تترجل في العشبِ مثل الغزاةِ
وكنا نشاهدهم في انتصاف الظهيرةِ
يجترحون الطفولةَ
أو يخطفون النساء عرايا
وكانوا يجوسون بين البراءةِ والحلمِ
يقتربون من الموتِ
بالموتِ
يبتعدون عن الموت للموت
كانوا برابرةً يشربون دماء الضحايا
وكنا نمالئهم
بالأغاني
ونأوي لمخدعنا كي ننامَ
يطاردنا الجندُ
والحرس المتحفز بالطلقاتِ
فتنكسر الأعين النجلُ
ينكسر الحب بين الفضاء المضمخ بالموت والخفقانِ
وينكسر الوقتُ
وكنا نُطَارد مثل القطا في الفلاةِ

فلم ننجرف صوب أحلامنا
مرةً
لم نتعلم من العشق غير اسمه
أي أرض تمد لنا غيَمها
أي عاصفةٍ تحتوينا
أي دم نخالطه في الصباحِ
أي ظل لنا نرتجيه
أي شمسٍ تضيء مدائننا كي نراها
خدعتنا المدن
واستبانا ملوك الطوائفِ
ضاعت فلسطينُ
والقدسُ
غرناطة المستحمةُ في الليلِ بالفجرِ
والشمسِ
جند من الرومِ
والتركِ
جاؤوا بقرطبةٍ كالقنيصةِ ثم تسابق كل الرماة إليها
ولم يتركوها سوى جثةٍ
وفروا فرار العبيد إذا ما انتهوا
ثم كبَّر فينا الطغاةُ
وأموا الصلاةَ
وكنا نتمتم بالدعواتِ وبالكلمات التي ليس فيها سوى رنة
الخوفِ
أيها المغوليون
سوف تنكسرون في الصبحِ
سوف نخدعكم بالكلام المنمقِ
والضحكاتِ

نفاجئكم بقنابلَ موقوتةٍ تحت هذي الأسرة
والعشب
نبددكمَ كالغبار الملوث
ثم نباغتكم كالفريسة وسط الرمالِ
ونرشقكم بالحجارةِ
والموتِ
نترككم كالنفاياتِ فوق الصحارى
فهل تخرجون
سوى جثةٍ؟!.